المحاضرة الثامنة: أدوات البحث الميداني: الملاحظة

تمهيد:

تستلزم عملية جمع المادة العلمية من الميدان مجال الدراسة توفر أدوات لجمع البيانات منها: الملاحظة، المقابلة، الاستمارة، الوثائق و السجلات الإدارية و الاحصاءات...و يجب أن تكون هذه الأخيرة لها وظيفتها في البحث، فلا يمكن توظيف أداة لا تتناسب مع طبيعة البحث، بإضافة إلى وجود شرط التكامل بين هذه الأدوات بحيث تسطيع من خلال كلّ أداة تحليل و تفسير الأداة الأخرى.

1. الملاحظة:

هي الانتباه المقصود و الموجه نحو سلوك فردي أو جماعي معين بقصد متابعة و رصد تغيراته، ليتمكن الباحث بذلك من وصف السلوك و تحليله و تقويمه.

ويعرف دوكاتلي الملاحظة بأنّها: عملية المشاهدة و الانتباه الذهني الإرادي و الموجه نحو جمع المعلومات المتعلقة بموضوع بحث محدّد و مضبوط الأبعاد و الأهداف.

ومنهم من عرّفها على أنّها: مشاهدة إرادية لجمع معلومات علمية مضبوطة بإطار مرجعي نظري لموضوع البحث، و تخضع الملاحظة إلى تقنين و رموز محاورها.

بناء على ما تقدّم من تعاريف، فإنّ الملاحظة تعني تلك المشاهدة المباشرة الموجهة و المضبوطة، و المحدّدة الأهداف و المحكومة بإطار مرجعي نظري و بناء منهجي ميداني للإحاطة بموضوع البحث، و عن طريق هذه المشاهدة تتم عملية جمع المعلومات و البيانات العلمية لتزويد و إثراء موضوع البحث بمادة علمية تخدم البحث.

2.1. أنواع الملاحظة:

- **الملاحظة البسيطة:** و هي الّتي تحتوي على صيغة بسيطة من الملاحظة، و فيها يلاحظ الباحث الظواهر و الوقائع كما تجري تلقائيا في ظروفها الطبيعية دون تسليط عليها بعض الضبط و الشروط العلمية. و غالبا ما يستخدم هذا النوع من الملاحظة في البحوث الاستطلاعية الاستكشافية.
- **الملاحظة المنظمة:** وهي المشاهدة العلمية الّتي تجري في ظروف أعدّ لها، و هي محدّدة و مضبوطة بمحاور علمية دقيقة.

و غالبا ما تستخدم الملاحظة المنظمة في البحوث المتعلقة بالحالات الفردية أو عينات تمثل مجتمع الدراسة، و تكون بحوثا وصفية أو تشخيصية للحالات المطلوب دراستها. أما إذا استخدمت الملاحظة المنظمة في البحوث ذات مجتمع الدراسة الواسع، فيقتضي أن تسبقها الملاحظة البسيطة لاستطلاع و اكتشاف خصائص مجتمع البحث.

3.1. طرق الملاحظة:

- **الملاحظة بالمشاركة:**

و فيها يشارك الباحث حياة مجتمع البحث، و عادة ما يعيش الباحث مع مجتمع الدراسة و يشاركهم في نشاطاتهم.

و في هذا النوع من الملاحظة قد يفصح الباحث للمبحوثين عن دوره كملاحظ. و يتطلب ذلك كسب ثقة المبحوثين كما قد لا يفصح الباحث للمبحوثين كملاحظ، و هذا النوع من الملاحظة أسماه "إدوارد ليندمان" بالملاحظة بالمشاركة المستترة، و فيها يجب أن لا يعرف المبحوثين أنّهم موضوع الملاحظة. و في ذلك يستوجب على الباحث الإلمام بلغة و اتجاهات و أهداف عينة البحث. و تخضع الملاحظة بالمشاركة إلى مجموعة من القواعد، أهمها:

- ضبط هدف الملاحظة بالمشاركة.
- تحديد المتطلبات المنهجية للملاحظة بالمشاركة.
- معرفة الخصائص الاجتماعية العامة لمجتمع الدراسة.
- الاتصال و معرفة شخص أو أكثر من الشخصيات الأساسية في مجتمع البحث.
- التعرف على القادة المحليين، لمساعدة الباحث للاتصال و الاندماج بمجتمع البحث.
- يجب على الباحث أن يخطط متى يسأل و يتطرق إلى موضوع البحث و متى لا يتطرق إلى ذلك مع مجتمع البحث.
- يتجنب الباحث التطرق إلى مواضيع حساسة قد تفقد ثقة المبحوثين به.
- ضبط درجة و نوع المشاركة.
- أن يتعلم الباحث لغة مجتمع البحث.

- **الملاحظة دون المشاركة:**

وفيها يقوم الباحث بالملاحظة دون أن يشارك حياة و نشاط مجتمع البحث. و تجرى الملاحظة دون علم المجتمع موضوع الملاحظة، مما يؤدي إلى أن تتم نشاطات و سلوكات مجتمع البحث طبيعية ومن غير تكلف في الآراء و الأفعال.

مثال تطبيقي حول كتابة الملاحظة:

تعدّ الملاحظة من العمليات الضرورية لكلّ البحوث العلمية سواء في مجال الظواهر الطبيعية أو الإنسانية فهي تعتبر ركيزة البحث العلمي في الكشف عن مختلف جوانب الظاهرة المبحوثة مع ما يستنتج ذلك الكشف عن تحليل و تفسير و تنبؤ، و هي تعدّ من أفضل الأدوات لدراسة الظواهر الاجتماعية نظرا لما تمنحه للباحث من مساعدة للتعرف على السلوك الفعلي للفرد في صورته الطبيعية التلقائية كما هو في الواقع.

تعتبر الملاحظة أداة أساسية لجمع البيانات، إذ تنطوي على مميزات تجعلها أداة فعالة تساعد في الوصول إلى معلومات و بيانات هامة خاصة بموضوع الدراسة، فهي تقوم بفحص الظاهرة بكلّ اهتمام و عناية و توجيه الحواس لمشاهدة و مراقبة سلوك معين أو ظاهرة معينة و تسجيل جوانب ذلك السلوك و خصائصه.

لقد استعنا في دراستنا الحالية بالملاحظة كأداة لجمع البيانات و المعلومات و هذا للتعرف على موضوع البحث، فطيلة مدّة بحثنا ابتداء من...إلى...، و شملت تسجيل جملة من الملاحظات العامة حول مجال الدراسة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- **الموضوع:** خدمات المعلومات المقدمة للمستفيدين من المكتبات الجامعية: دراسة ميدانية بمكتبة كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية بجامعة قالمة.
- **نوع الملاحظة:** الملاحظة البسيطة.
- **نوع الملاحظة من حيث القائمين عليها:** الملاحظة الفردية، لكون الباحث وحده هو الّذي يقوم بإجراء المقابلة.
- **نوع الملاحظة من حيث دور الباحث:** الملاحظة دون المشاركة، وظيفتها تكميلية لاستمارة الاستبيان إذ يلاحظ الباحث لتحقق من البيانات المصرّح بها في الاستبيان حول توفير خدمات معلومات مناسبة للمستفيدين، و الصعوبات أو المشاكل الّتي تحول دون تقديم خدمات متنوعة ذات جودة عالية.
- **محاور الملاحظة:**

المحور الأول: أنواع الخدمات المقدمة بمكتبة الكلية:

- ✓ الاستقبال و التوجيه.
- ✓ البحث البيبليوغرافي.
- ✓ الخدمة المرجعية.
- ✓ الإعارة.
- ✓ الإحاطة الجارية.
- ✓ تكوين المستفيدين...

المحور الثاني: الخدمات الإضافية و الجو العام للمكتبة

- ✓ النظافة و البيئة الداخلية للمكتبة.
- ✓ نوع الخدمة المقدمة و المعاملة بالمكتبة.
- ✓ الانضباط في العمل.
- ✓ إتقان العمل.
- ✓ العمل بأخلاقيات المهنة.

✓ ندوات علمية.

للبحث الميداني بالملاحظة إيجابيات و سلبيات و من أهم هذه الأخيرة حتّى يمكن تجنبّها:

- قد يغيّر بعض المبحوثين آرائهم و سلوكهم عندما يشعرون بأنّهم تحت الملاحظة.
- قد تستغرق الملاحظة وقتا طويلا وجهدا و أموالا كبيرة من الباحث، و يكون الباحث عاجزا على ذلك.
- قد يتأثر الباحث بالذاتية أو التحيّز بسبب تعامله مع المبحوثين أو عدم عثوره على المعلومات أو البيانات الّتي يريد جمعها للموضوع، أو لكونه لم ينجح في تفسير الظاهرة موضوع البحث.

و لكن بالرغم من بعض السلبيات الّتي تعتبر كمآخذ عن البحث بالملاحظة، غير أنّ أداة الملاحظة ستظلّ أسلوبا ضروريا في جمع المعلومات و البيانات لبعض المواضيع، و بخاصة جمع المعلومات و البيانات الّتي لا يستطيع الباحث الحصول عليها بأداة الاستبيان أو المقابلة أو أداة أخرى من أدوات البحث الميداني.